

تعزير الردع على الجناح الشرقي لحلف شمال الأطلسي (الناتو).

محاكاة سيناريو الحرب دفاعاً عن دول البلطيق.

ديفيد ا. شلاباك (David A. Shlapak) وميكل و. جونز (Michael W. Johnson)

الملخص

كانت موسكو وجيرانها الغربيين ينعمون بجو من السلام والاستقرار النسبي إلى أن جاء اعتداء روسيا في الآونة الأخيرة على الأراضي الأوكرانية ليمزق أواصر تلك العلاقة ويثير المخاوف بشأن ما تضرره روسيا من نوايا خفية. فمن وجهة نظر منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو)، ربما كانت الإشكالية الأكبر تتمثل في الخطر الذي يتهدد دول البلطيق الثلاث، استونيا، ولاتفيا، وليتوانيا، الجمهوريات السوفيتية السابقة التي صارت الآن دولاً أعضاء في الحلف لها حدود متاخمة للأراضي الروسية.

وقد عكفت مؤسسة RAND، من خلال سلسلة من المناورات محاكاة سيناريو الحرب أجريت خلال الفترة ما بين صيف عام 2014 وربيع عام 2015، على دراسة شكل أي غزو روسي محتمل على المدى القريب لأراضي دول البلطيق الثلاث وما قد يترتب عليه من نتائج. وجاءت نتائج تلك المناورات (محاكاة السيناريو) واضحة لا لبس فيها؛ فعلى النحو القائم حالياً، لا يمكن لحلف شمال الأطلسي (الناتو) أن ينجح في الدفاع عن أراضي أكثر دوله الأعضاء عرضة للخطر. ومن خلال إجراء العديد من مناورات محاكاة سيناريو الحرب استُخدم فيها مجموعة واسعة من المشاركين الخبراء من الجهات الفاعلة على كلا الجانبين، سواء من العسكريين أو من غيرهم، كان أطول وقت تحتاجه القوات الروسية لبلوغ مشارف العاصمة الإستونية "تالين" و/أو العاصمة اللاتفية "ريجا" هو 60 ساعة. ومن شأن مثل هذه الهزيمة السريعة أن تترك أمام حلف شمال الأطلسي (الناتو) عدد محدود من الخيارات، جميعها سيء: القيام بهجوم مضاد دامي، محفوف

بمخاطر جمّة، من أجل تحرير دول البلطيق؛ أن تقوم بالتصعيد، كما هددت به لتجنب الهزيمة خلال الحرب الباردة؛ أو الاعتراف بهزيمة مؤقتة على الأقل، مع عواقب غير مؤكدة ولكن كارثية متوقعة بالنسبة للحلف، وليس مصادفةً أن تكون النتائج كارثية لشعب دول البلطيق.

النتائج الرئيسية

- من خلال إجراء العديد من مناورات محاكاة سيناريو الحرب استُخدم فيها مجموعة واسعة من المشاركين الخبراء من الجهات الفاعلة على كلا الجانبين، كان أطول وقت تحتاجه القوات الروسية لبلوغ مشارف العاصمة الإستونية "تالين" و/أو العاصمة اللاتفية "ريجا" هو 60 ساعة.
- ومن شأن مثل هذه الهزيمة السريعة أن تترك أمام حلف شمال الأطلسي (الناتو) عدد محدود من الخيارات، جميعها سيء.
- فوجود قوة مكونة من نحو سبعة ألوية، بما في ذلك ثلاثة ألوية ذات تسليح ثقيل - مدعومة بقوة نيران جوية كافية، وقوة نيران أرضية كافية، وغير ذلك من العوامل المساعدة الأخرى على الأرض، ومستعدة للقتال فور بدء حدوث الأعمال العدائية - من شأنه أن يحول دون مثل هذه النتيجة.
- وعلى الرغم من أن مثل هذا الوضع لا يكفي لضمان الدفاع الدائم عن المنطقة أو استعادة وحدة أراضي الدول الأعضاء به، إلا أن من شأنه أن يغير المشهد الإستراتيجي تغييراً جذرياً في عيون موسكو.
- وعلى الرغم من أن تكلفة مثل هذا الوضع لن تكون زهيدة من حيث القيمة المطلقة، إلا أنه ليس من الصعب تحملها، لا سيّما بالمقارنة بالتكاليف المحتملة في حالة الإخفاق في الدفاع عن الحلفاء الأكثر ضعفاً وعرضة للخطر في الحلف.

لكن من حُسن الطالع أنه يبدو أن محاولة تفادي مثل هذا الفشل الكارثي الخاطف لا تتطلب بذل جهود جبارة. فقد أشارت ممارسة المزيد من مناورات محاكاة سيناريو الحرب إلى أن وجود قوة مكونة من نحو سبعة ألوية، بما في ذلك ثلاثة ألوية ذات تسليح ثقيل - مدعومة بقوة نيران جوية كافية، وقوة نيران أرضية كافية، وغير ذلك من العوامل المساعدة الأخرى على الأرض، وجاهزة للقتال فور بدء حدوث الأعمال العدائية - من شأنه أن يكفي للحيلولة دون الاجتياح السريع لدول البلطيق. وعلى الرغم من أن مثل هذا الوضع لا يكفي لضمان الدفاع الدائم عن المنطقة أو تحقيق الغاية الكبرى لحلف شمال الأطلسي (الناتو) في استعادة وحدة أراضي دوله الأعضاء إلا أن من شأنه أن يغير المشهد الإستراتيجي تغييراً جذرياً في عيون موسكو. إذ يحول روسيا من الاعتقاد بأنها قادرة على توجيه ضربة قاضية مذهلة إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو) لطالما خشي منها الحلف على نحو ما أسلفنا، إلى الاقتناع بأن المبادرة بالهجوم على دول البلطيق قد يسفر عوضاً عن ذلك، عن إطلاق شرارة حرب خطيرة طويلة الأمد بين روسيا من جانب وتحالف يتسم بأنه أكثر منها ثراءً وقوةً بكثير من جانب آخر، وهي حرب يتوجب على روسيا أن تخشى احتمال خسارتها إياها.

إلا أن تشكيل مثل هذا الوضع الرادع لن يكون زهيد التكلفة من حيث القيمة المطلقة، حيث رُبَّمَا تتجاوز تكلفته السنوية ما يصل إلى 2.7 مليار دولار أمريكي. وهذا ليس برقم صغير، لكن بالنظر إليه في سياق تحالف يملك من الناتج المحلي الإجمالي ما يربو على 35 تريليون دولار أمريكي وإنفاق دفاعي سنوي جمعي يتجاوز أكثر من 1 تريليون دولار أمريكي، بالكاد يبدو مبلغاً يصعب تحمله، لا سيَّما بالمقارنة بالتكاليف المحتملة في حالة الإخفاق في الدفاع عن الحلفاء الأكثر ضعفاً وعُرْضَةً للخطر في الحلف - أو بمعنى أدق للتسبب في اندلاع حرب مدمرة بدلا من الحيلولة دون نشوبها.

الجغرافيا العسكرية تنحاز لصف روسيا.

قام حلف شمال الأطلسي (الناتو) إبان حقبة الحرب الباردة بجعل ثمانية من فيالق الحلفاء العسكرية تتمركز على طول الحدود بين ألمانيا الغربية وجيرانها من دول حلف وارسو في الشرق. فقدّ تمركز أكثر من 20 من فرق الحلفاء العسكرية للدفاع عن الحدود، مع التخطيط لتدفق المزيد كتعزيزات قبل وأثناء أي نزاع (انظر الشكل رقم "1").

وتبلغ مسافة الحدود الممتدة التي تتقاسمها كلا من استونيا ولاتفيا وليتوانيا مع كلا من روسيا الاتحادية وروسيا البيضاء ما يقارب نفس طول الحدود الفاصلة بين ألمانيا الغربية وجيرانها من دول حلف وارسو. إلا أنه قدّ تم الدفاع عنها بمعرفة القوات المحلية للجمهوريات الثلاث وحدها، والتي حشدت ما يعادل تقريباً لواء من وحدات المشاة الخفيفة لكُلّ دولة. فمنذ الغزو الروسي لشبه جزيرة القرمّ قامت بلدان أخرى من حلف شمال الأطلسي (الناتو)، من بينها الولايات المتحدة الأمريكية، بتحريك القوات عبر دول البلطيق، غير أن تلك القوات لم تتعدى قوة كتيبة عسكرية أو أقل - وهو ما يكفي بالكاد للدفاع عن تلك الجمهوريات ضدّ أي هجوم روسي ممكن.

كما أن تباعد المسافات على مسرح الأحداث إنّما يأتي في صالح روسيا، فالمسافة من الحدود وحتى العاصمة الإستونية "تالين" على طول الطرق الرئيسية إنّما تقدر بحوالي 200 كم؛ وبحسب الطريق المتبع، تبلغ مسافة الطريق السريع (مقابل مسافة الخط المستقيم) إلى العاصمة اللاتفية

الشكل 1. الخطوط الأمامية القديمة والجديدة لحلف شمال الأطلسي



الدفاع عن دول البلطيق: تحدي استراتيجي أمام حلف شمال الأطلسي (الناتو).

لقدّ بادر فلاديمير بوتين "Vladimir Putin" الآن بمهاجمة الدول المجاورة له ثلاث مرات، ولا يزال غزوه الثاني للأراضي الأوكرانية قائماً لم ينفض. لقدّ أسفرت مساعيه لتعزيز النفوذ الروسي على امتداد محيط موسكو عن إنهاء ما يقرب من جيل كامل من علاقات السلام والاستقرار في أوروبا خلال ما بعد مرحلة الحرب الباردة، وأحييت من جديد ما كان ينتاب جيران موسكو من مخاوف مشروعة حيال نواياها الكامنة.

وتبدو جمهوريات البلطيق الثلاث، استونيا، ولاتفيا، وليتوانيا، هي الأهداف المقبلة الأكثر ترجيحاً لأي غزو روسي محتمل بعد شرق أوكرانيا. فالجمهوريات الثلاث، مثلهن مثل أوكرانيا، قدّ أمضين سنوات كثيرة كأعضاء في جمهوريات الاتحاد السوفيتي ولم تنلن استقلالهن إلا بتفككه. كما أن ثلاثتهن يتاخمن الأراضي الروسية. كما أن كلا من استونيا، ولاتفيا، مثلهن في ذلك مثل أوكرانيا، يمثلن موطناً لمجموعات كبيرة من السكان من ذوي الأصول العرقية الروسية اندمجت في أحسن الأحوال بشكل متفاوت ضمن التيارات السياسية والاجتماعية الرئيسية في كلا البلدين في مرحلة ما بعد الاستقلال مما أعطى لروسيا مبرراً كافياً للتدخل في شئون كلا من استونيا ولاتفيا؛ وهو سيناريو مألوف بشكل لا يبعث على الاطمئنان.

غير أن دول البلطيق، على خلاف أوكرانيا، هي دول أعضاء في حلف شمال الأطلسي (الناتو) مما يعني أن أي اعتداء من قِبَل روسيا عليهم من شأنه أن يؤدي إلى تطبيق المادة الخامسة من اتفاقية شمال الأطلسي - والتي تتضمن أحكام الدفاع الجماعي التي بمقتضاها يعتبر أي هجوم ضدّ أي من الدول الموقعة على الاتفاقية هجوماً ضدّ الجميع. وهذا يضع التزاماً على عاتق الولايات المتحدة الأمريكية وشركائها في التحالف بأن يكونوا على أهبة الاستعداد للمجيء لنجدة دول البلطيق في حال سعت روسيا بشكل نشط ممزوج بالعنف لزعة استقرارهم أو مهاجمتهم بشكل ساحق.

وفي خطاب له في العاصمة الإستونية "تالين" في سبتمبر (أيلول) 2014، أوضح الرئيس باراك أوباما "Barack Obama" هذا الالتزام وشدد عليه بكُلّ قوة قائلاً:

سوف ندافع عن رفاقنا أعضاء حلف شمال الأطلسي (الناتو)، وهذا يشمل كُلاً عضو بالحلف... وسوف ندافع عن وحدة أراضي كُلاً دولة عضو بالحلف... لأن الدفاع عن كلا من "تالين" و"ريجا" و"فيلنيوس" لا يقل أهمية عن الدفاع عن "برلين" و"باريس" و"لندن"... والمادة الخامسة واضحة وضوح الشمس: فأي هجوم على أي دولة هو هجوم على الجميع... وسوف نكون هنا من أجل استونيا. وسوف نكون هنا من أجل لاتفيا. وسوف نكون هنا من أجل ليتوانيا. لقدّ فقدتم استقلالكم ذات مرة من قبل. لكن في ظل حلف شمال الأطلسي (الناتو) لن تفقدوا استقلالكم ثانية أبداً.²

لكن من سوء الطالع أنه لا الولايات المتحدة الأمريكية ولا رفاقها في حلف شمال الأطلسي (الناتو) مستعدون حالياً لدعم كلمات الرئيس القوية هذه.

وقد افترض سيناريو الحرب مدة إنذار قدرها أسبوع واحد كان من شأنها السماح لحلف شمال الأطلسي (الناتو) بإنزال بعض التعزيزات إلى دول البلطيق - تتكون بشكل رئيسي من وحدات المشاة الخفيفة التي يمكن نقلها جواً على وجه السرعة إلى جانب القوة الجوية. ويوضح الجدول رقم "1 - 4" القوات التي تم منحها لكلا الجانبين في اليوم "د" - الذي بدأت فيه الأعمال العدائية. وقد اعتمد الجانبان العمل باستراتيجيات ظلت متماثلة خلال مناورات المحاكاة المؤداة والتي يوضحها الشكل رقم "2".

وقد بذلت الأطراف الروسية في المحاكاة جهوداً كبيرة للتوجه نحو العاصمة اللاتفية "ريجا" حيث قامت بهجوم ثانوي ضمن لها الاستحواذ السريع على مناطق شمالي شرق استونيا حيث الأغلبية العرقية الروسية من السكان، ومن هناك انطلقت باتجاه العاصمة الإستونية "تالين".

أمّا أطراف حلف شمال الأطلسي (الناتو) في المحاكاة، ومع إدراكهم أن ما لديهم من قوات لا يكفي على الإطلاق لشن أي نوع من الدفاع المتقدم، فقد سعت، عوضاً عن ذلك، لاستخدام القوات المحلية في تأخير تقدم القوات الروسية على طول المحاور الرئيسية في حين قاموا بتركيز موقع الجزء الأكبر من قواتها داخل وفيما حول العاصمة الإستونية "تالين" والعاصمة اللاتفية "ريجا" في محاولة منهم للحفاظ على الحد الأدنى من سبُل المعيشة الطبيعية في كلتا العاصمتين.

الجدول 1. القوات البرية التابعة لحلف شمال الأطلسي

الدولة	نوع الوحدة (كتيبة)	المكان	الكمية
إستونيا	المشاة	إستونيا	2
	مشاة خفيفة	إستونيا	3
لاتفيا	مشاة خفيفة	لاتفيا	2
ليتوانيا	مشاة ميكانيكية	ليتوانيا	2
	مشاة آلية	ليتوانيا	2
الولايات المتحدة	مشاة محمولة جواً	دول البلطيق	2/1
	مروحية هجومية	دول البلطيق	2
	ناقلة جنود مدرعة (سترايكر)	دول البلطيق	1/1
	أسلحة مشتركة	بولندا	0/1
المملكة المتحدة	هجوم جوي	دول البلطيق	1
الإجمالي			17/3

ملاحظات: كان من المفترض أن يتم نشر قوات حلف شمال الأطلسي الموجودة في "دول البلطيق" في المنطقة قبل بدء الأعمال العدائية. يمكن وضع هذه القوات عن طريق المناورين الزرق في أي مكان معقول على الخريطة. تشير الأرقام المكتوبة بعد العلامة المائلة إلى الوحدات الإضافية التي قد تصل إلى الخريطة، اعتماداً على مدة المناورة. كان من المفترض أن تلتزم القوات البولندية بالدفاع عن أرض الوطن، ولا سيما مسح حدود بولندا مع كالينينغراد التي يصل طولها إلى 200 كم، وحماية ظهر حلف شمال الأطلسي وبالتالي فإنها غير متاحة للمشاركة في الدفاع المباشر عن دول البلطيق. وهذا يتفق مع ما ندرك أنه توقعات بشأن خيارات بولندا في المراحل المبكرة لأي صراع في دول البلطيق. من الناحية التحليلية، سمح لنا الافتراض بإعداد حالة محدودة من حيث طلب قوات من خارج المنطقة المتاخمة مباشرةً من إستونيا ولاتفيا وليتوانيا.

"ريجا" ما بين 210 إلى 275 كم. من جهة أخرى، فإن المسافة من الحدود البولندية بإتباع الخط المستقيم إلى العاصمة اللاتفية "ريجا" تبلغ حوالي 325 كم، وإلى العاصمة الإستونية "تالين" تبلغ 600 كم. أمّا لكي يتحرك حلف شمال الأطلسي (الناتو) من بولندا إلى أي مكان آخر فإنه قد يحتاج إلى عبور "ممر كالينينغراد"، وهو امتداد من الأرض يتراوح طوله ما بين 110 إلى 150 كم ما بين الجيب الروسي وروسيا البيضاء ويمكن أن يكون عرضة لهجمات بالمدفعية بعيدة المدى وهجمات جانبية من كلا الجانبين، وقد يتطلب التزاماً بتأمينه بمعرفة قوات (قليلة) من حلف شمال الأطلسي (الناتو). إن تضاريس مسرح الأحداث شديدة التنوع وتضم مناطق مفتوحة واسعة تتخللها مناطق الغابات والبحيرات بل وبعض المناطق تتخللها مساحات كبيرة من الأهوار. وقد يصعب التنقل بعيداً عن الطرق في أجزاء من البلدان الثلاث، لا سيّما بالنسبة للمركبات ذات العجلات. ومع ذلك، فإن هناك شبكة قوية إلى حدّ كبير من الشوارع والطرق السريعة تمتد في جميع الأنحاء كما أن هناك بضعة انهار كبيرة تلعب دور خطوط دفاعية طبيعية وحواجز طبيعية أمام الحركة. ويسعى تحليلنا إلى تفسير ما لهذا التنوع في التضاريس من تأثيرات على التنقل والقتال. فمن المؤكد أن الجيش الروسي هو اصغر بكثير في حجمه من سابقه السوفيتي. إذ لا يسعه أن يحشد اليوم للعمليات في المنطقة العسكرية الغربية - وهي المنطقة الملاصقة لدول البلطيق - أكثر من 22 كتيبة، وهو تقريباً نفس عدد الفرق العسكرية التي تم نشرها على الخطوط الأمامية في البلدان غير السوفيتية المنضمة لحلف وارسو في عام 1990.³ غير أن تلك القوات تبدو أكثر من كافية لسحق أي دفاع قد تكون جيوش البلطيق قادرة على تقديمه.

الوضع الحالي لحلف شمال الأطلسي (الناتو) لا يمكن أن يدعم التزامات التحالف.

على الرغم من التصريحات الجريئة التي أدلى بها الرئيس أوباما في العاصمة الإستونية "تالين"، إلا أن سلسلة من مناورات محاكاة سيناريو الحرب التي أجرتها مؤسسة "RAND" إنّما تشير بشكل واضح إلى أن الوضع الحالي الذي يتخذه حلف شمال الأطلسي (الناتو) لا يكفي للدفاع عن دول البلطيق ضد أي هجوم روسي تقليدي محتمل.

فقد تم في المناورات (محاكاة السيناريو) استخدام قوات روسية من المنطقة العسكرية الغربية ومحافظة "كالينينغراد أوبلاست" - وهي قطعة من الأرض ذات السيادة الروسية تقع على الحدود الشمالية الشرقية لبولندا، بموازاة ساحل بحر البلطيق - يبلغ إجمالي عددها 27 كتيبة مناورات تقريباً في القيام بهجوم بعد إنذار قصير بإعلان الحرب لاحتلال إمّا إستونيا أو لاتفيا أو كليهما ووضع حلف شمال الأطلسي (الناتو) أمام أمر واقع سريع الوتيرة.⁴ وكان الهدف الإستراتيجي من الغزو إظهار عجز حلف شمال الأطلسي (الناتو) عن حماية أكثر أعضائه ضعفاً والتسبب في انقسام الحلف مما يحد من خطر التهديد الذي يمثله هذا الحلف في عيون موسكو.

الجدول 2. القوات البرية الروسية

النوع	المكان	الكمية
كتائب المناورة		
دبابة	المنطقة العسكرية الغربية	4
مشاة ميكانيكية	المنطقة العسكرية الغربية	5
مشاة آلية	المنطقة العسكرية الغربية	5
مشاة محمولة جواً	المنطقة العسكرية الغربية	8
مشاة البحرية	كاليينغراد أو بلاست	3
الإجمالي		25
كتائب المدفعية		
المدفعية القاذفة الأنبوبية	المنطقة العسكرية الغربية	3
قاذفة صواريخ ثقيلة	المنطقة العسكرية الغربية	2
قاذفة صواريخ متوسطة	المنطقة العسكرية الغربية	5
الإجمالي		10
كتائب صواريخ أرض أرض		
اسكندر صاروخ باليستي قصير المدى	المنطقة العسكرية الغربية	2
توتشكا صاروخ باليستي قصير المدى للغاية	المنطقة العسكرية الغربية	2
توتشكا صاروخ باليستي قصير المدى للغاية	كاليينغراد أو بلاست	1
الإجمالي		5
كتيبة مروحية هجومية طراز إم آي 24- هند		6

ملاحظة: كان من المفترض أن يكون كل لواء أو فرقة روسية في ماريلاند الغربية أو كاليينغراد قادرة على إنتاج مجموعة كتيبة تكتيكية قابلة للنشر للهجوم. وهذا يتفق مع النمط الملاحظ في عمليات الجيش الروسي في أوكرانيا. كان من المفترض أن يتم الاحتفاظ بغالبية القوات البرية الروسية في كاليينغراد كاحتياطي للدفاع عن القطاع، ولم تكن متاحة للعمليات الهجومية؛ لم يتم إدراجها في هذا الجدول.

الجدول 3. القوات الجوية المقاتلة التابعة لحلف شمال الأطلسي

الجنسية	المكان	النوع	الأسراب
الولايات المتحدة	ليتوانيا	F-15C	1
	المملكة المتحدة	F-15E	1
		B-1B	1
	بولندا	F-22	0.5
		F-16C/WW	^a 1
	ستوكهولم ^c	F-16C	^b 2
		F-15C	^d 1
		F-15E	^e 2
		A-10	0.5
		F-22	1
	بحر الشمال ^f	F/A-18C/D	1
		F/A-18E/F	1
المملكة المتحدة	ليتوانيا	تايفون FGR	1
	بولندا	Mk 4 تورنادو GR	1
	بولندا	رافال B/C	1
النرويج	ستوكهولم	F-16C	1
كندا	بولندا	CF-18C/D	0.5
الدنمارك	بولندا	F-16C	1
الإجمالي			18.5

^a تم نشرها من سبانجدم، ألمانيا.

^b تم نشرها من قاعدة أفيانو الجوية، إيطاليا.

^c سمحنا لبعض الطائرات المقاتلة التابعة لحلف شمال الأطلسي أن يكون مقرها في السويد، وذلك بناء على مناقشات مع الزملاء في RAND الذين أجروا مناقشات رسمية مع مسؤولي وزارة الدفاع السويديين عن السيناريوهات المشابهة لهذا السيناريو. من الناحية التحليلية، سمح ذلك لنا باكتشاف القيمة الممكنة لهذه الترتيبات. تجعل الوفرة النسبية للقواعد المتاحة في أوروبا الوسطى والغربية، ولا سيما ما يتعلق بحجم القوة المنتشرة، نتائجنا عديمة الأهمية نسبياً بالنسبة لهذا الافتراض، على الرغم من أن القواعد السويدية أثبتت قيمتها بالقدر الذي سمح للطائرات المقاتلة التابعة لحلف شمال الأطلسي بالوصول إلى ميدان المعركة بدرجة جنيتها إلى حد كبير تركيز الدفاعات الجوية الحديثة الموجودة في كاليينغراد.

^d تم نشرها من قاعدة لاكينهيث الجوية، المملكة المتحدة.

^e تم نشرها من قاعدة لاكينهيث الجوية، المملكة المتحدة.

^f مجموعة حاملات الطائرات الهجومية جورج دبليو بوش، تم نشرها من نورفولك.

وفي الوقت نفسه، كانت جميع القوات الروسية مزودة بالمحركات أو الوحدات الميكانيكية أو وحدات الدبابات. بل إن حتى كتائبهم الثمانية المحمولة جواً كانت، على خلاف نظيرتها الأمريكية، مزودة بمركبات مدرعة خفيفة. وثانياً، كانت روسيا تتمتع أيضاً بميزة ساحقة من حيث قوة النيران التكتيكية وقوة النيران العملياتية. وكان التنظيم القتالي الروسي يشمل عشر كتائب مدفعية (ثلاثة منها مجهزة بمدفعية أنبوبية وسبعة برجمات متعددة الصواريخ)، بالإضافة إلى المدفعية التي هي جزء لا يتجزأ من وحدات المناورة

وكانت النتيجة، بكل صراحة، تُمثِّل كارثة لحلف شمال الأطلسي (الناتو). فبعد مناورات عديدة في المحاكاة تمكنت القوات الروسية من التخلص من أو تجاوز كُتْل مقاومة حتى أصبحت على أبواب، أو بالفعل داخل العاصمة "تالين" و"ريجا" أو كليهما، في غضون ما بين 36 إلى 60 ساعة من بدء الأعمال العدائية. وبدا أن هناك أربعة عوامل تسهم إلى حد كبير في بلوغ هذه النتيجة. أولها وأكثرها وضوحاً يتمثل في أن ميزان القوى الكُلِّي إنمّا كان يأتي بشكل كبير لصالح روسيا. فعلى الرغم من أن الأعداد التقريبية لكتائب المناورة لكلا الطرفين - 22 لروسيا و 12 لحلف شمال الأطلسي (الناتو) - ليست غير متناسبة على نحو خطير، إلا أن سبعة من كتائب حلف شمال الأطلسي (الناتو) هي كتائب كلا من استونيا ولاتفيا، وهي كتائب خفيفة للغاية وتفتقر إلى إمكانية التحرك التكتيكي، وغير مجهزة بشكل جيد مما لا يسمح لها بالقتال ضد كتائب خصم مدرّعة. وفي واقع الأمر كانت الكتيبة المدرعة الوحيدة ضمن قوات حلف شمال الأطلسي (الناتو) هي كتيبة المركبات القتالية المدرعة الوحيدة من نوع "Stryker"، والتي تقرر نشرها من ألمانيا أثناء تصاعد الأزمة وقبل اندلاع النزاع. ولم يكن لحلف شمال الأطلسي (الناتو) أي دبابات قتال رئيسية في الميدان.

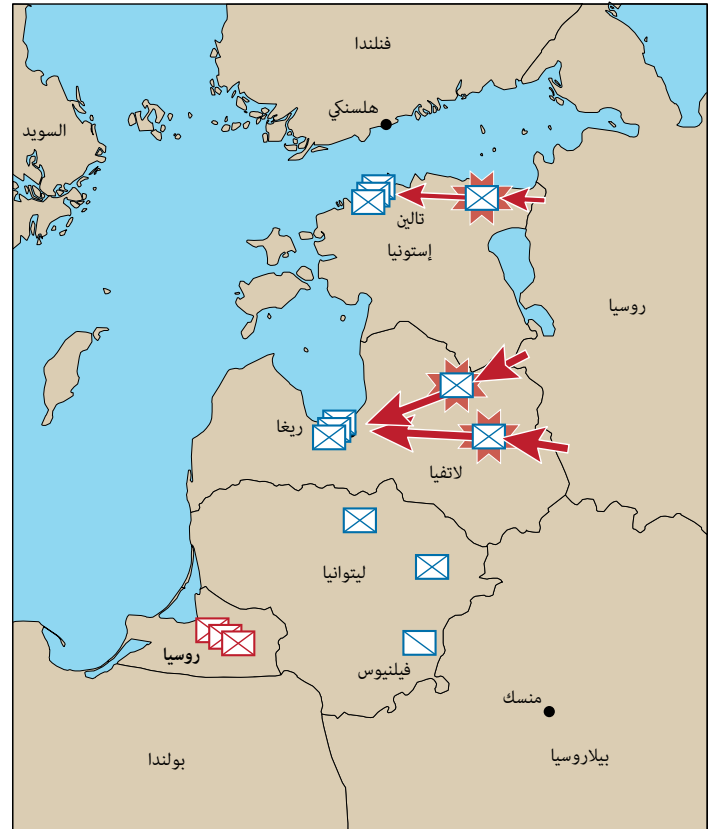
الجدول 4. القوات الجوية القتالية الروسية

النوع	الأسراب
Su-27 FLANKER	9 ^{هـ}
Su-34 FULLBACK	2
MiG-29 FULCRUM	3
MiG-31 FOXHOUND	4
Su-24 FENCER	5 ^{هـ}
Tu-22M3 BACKFIRE	4
الإجمالي	27

¹ فوج طيران بحري واحد (سرب) في كالينينغراد.

على القوات الروسية، إن أرادت، أن تتغلب عليها وتتجاوزها. وعموماً، فقدّ وجدت قوات المشاة التابعة لحلف شمال الأطلسي (الناتو) نفسها عاجزة حتى عن النجاح في الانسحاب فتم تدميرها في مكانها. وأخيراً على الرغم من أن قوة النيران الجوية لحلف شمال الأطلسي (الناتو) كانت قادرة بوجه عام على إنزال خسائر كبيرة في القوات الروسية المتقدمة، إلا أنه بدون وجود قوات أرضية كافية لحلف شمال الأطلسي (الناتو) من أجل إبطاء زخم الهجوم من ثمّ لن يكون هناك ببساطة أي وقت كافي لشن حرب استنزاف كافية لوقف الهجوم. إلا أن القوة الجوية تتسم بأنها محدودة نسبياً، وفي مواجهة خصم كفء نوعاً ما - وهو ما نصف به القوة الجوية الروسية - يكون أمام القوة الجوية لحلف شمال الأطلسي (الناتو) مهام متعددة لتؤديها من بينها قمع ترسانة روسيا من دفاعات أرض جو الحديثة والدفاع ضد الهجمات المحتملة على قوات حلف شمال الأطلسي (الناتو) والمناطق الخلفية. وهذا من شأنه أن يحد أكثر من قدرة القوات الجوية التابعة لحلف شمال الأطلسي (الناتو) على التأثير في نتيجة القتال على الأرض. وبدون قوات برّية تابعة لحلف شمال الأطلسي (الناتو) تكون ثقلية التسليح من أجل إجبار القوات الروسية المهاجمة على إبطاء زحفها وإضعافها أمام الضربات الجوية، يمكن للأطراف الروسية تحديد خسائرها عن طريق اختيار توقيت كَرّ وفرّ قواتها.

الشكل 2. الاستراتيجية العامة للجانبين



سياسة فرض الأمر الواقع الروسية تضع حلف شمال الأطلسي (الناتو) أمام خيارات غير مستساغة.

إن قيام القوات الروسية باقتحام أبواب "ريجا" و "تالين" في غضون يومين أو ثلاثة من شأنه أن يضع قادة حلف شمال الأطلسي (الناتو) أمام مجموعة الخيارات غير الجذابة على الإطلاق.

إذ سوف يكون في مواجهة المأزق الأول قادة وشعوب دول البلطيق الذين سوف يكون عليهم اتخاذ قرار الدفاع عن عواصمهم من عدمه. فالقوات الخفيفة عالية الجودة، مثل قوات المشاة الأمريكية المحمولة جواً، والتي اعتاد حلف شمال الأطلسي (الناتو) بشكل تقليدي نشرها داخل العاصمتين "ريجا" و "تالين"، يمكن أن تشنّ مقاومة شديدة عند نشرها في المناطق الحضرية. غير أن تكلفة نشر مثل هذه القوة الدفاعية بالنسبة للمدينة وسكانها عادة ما تكون عالية للغاية، وهو الدرس الذي تعلمه سكان العاصمة الشيشانية "جروزي" على يد الجيش الروسي في الفترة من 1999 إلى 2000. وعلاوة على ذلك، فإنه لا يمكن على الأرجح إنقاذ تلك القوات بالإمدادات والدعم قبل أن تتعرض للسحق. وليس من المؤكد ما إذا كان قادة استونيا أو لاتفيا قد يختارون - أو بالأحرى يتعين عليهم أن يختاروا -

تحويل عواصمهم وأكبر مدنها إلى ساحات قتال أم لا.⁵

أمّا المأزق الثاني والأكبر فيواجهه الرئيس الأمريكي وقادة دول حلف شمال الأطلسي (الناتو) السابع والعشرين الآخرين. فالاحتلال الروسي السريع لجميع أو معظم أجزاء واحدة أو اثنتين من الدول الأعضاء في حلف شمال الأطلسي (الناتو) من شأنه أن يضع التحالف أمام ثلاث خيارات جميعها غير مستساغ.

نفسها. أمّا حلف شمال الأطلسي (الناتو) فليس لديه وحدات نيران مستقلة على الإطلاق، كما أن وحداته الخفيفة المنخرطة في القتال تفتقر إلى المدفعية الأساسية. وثالثاً، فإن الوحدات الروسية الأثقل تسليحاً بكثير من القوات الخفيفة التسليح التابعة لحلف شمال الأطلسي (الناتو) لم تتفوق فقط عليها من حيث التسليح، بل إن افتقار الأخيرة إلى القدرة على المناورة أيضاً يجعل من اليسير

فالقوات الخفيفة عالية الجودة، مثل قوات المشاة الأمريكية المحمولة جواً، والتي اعتاد حلف شمال الأطلسي (الناتو) بشكل تقليدي نشرها داخل العاصمتين "ريجا" و"تالين"، يمكن أن تشن مقاومة شديدة عند نشرها في المناطق الحضرية. ولكن تكلفة توفير هذا الدفاع عن المدينة وسكانها باهظة للغاية.

أنه حالما يخفق مثل هذا الردع - وهو ما قد يكون عليه الحال حالما تكون روسيا قد اتخذت قراراً لا رجعة فيه بمهاجمة الدول الأعضاء في حلف شمال الأطلسي (الناتو) - فإن ذلك الخطر نفسه من شأنه أن يقوض بنفسه إلى حد كبير من مصداقيته، حيث أنه قد يبدو لموسكو أنه من غير المرجح على الإطلاق أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية على استعداد لمبادلة مدينة "نيويورك" بالعاصمة اللاتفية "ريجا". كما أن هناك عوامل أخرى تجعل هذا الخيار غير مرجح بل وغير مستساغ أهمها انعدام مصداقيته المتمثل في أن التوجه العام في السياسة الدفاعية الأمريكية المتمثل في الميل إلى التقليل من أهمية ما للأسلحة النووية من قيمة، إلى جانب ترجيح عدم استعداد الدول الأوروبية الأعضاء في حلف شمال الأطلسي (الناتو)، وخصوصاً دول البلطيق نفسها، لأن ترى قارتها أو بلدانها تتحول إلى ساحة حرب نووية.¹⁰

أمّا الخيار الثالث فيتمثل في الاعتراف، على الأقل على المدى القريب والمتوسط، بهيمنة روسيا على الأراضي التي احتلتها. وفي ظل مثل هذا السيناريو فإن أفضل نتيجة مرجحة سوف تكون حقبة حرب باردة جديدة حيث يتم رسم نسخة القرن الحادي والعشرين من "الحدود الألمانية الداخلية" القديمة في مكان ما عبر ليتوانيا أو لاتفيا. أمّا الوضع الأسوأ فيتمثل في انهيار حلف شمال الأطلسي (الناتو) نفسه وانهيار حجر زاوية الأمن الغربي لما يقرب من 70 عاماً.¹¹

يحتاج حلف شمال الأطلسي (الناتو) إلى قوات ثقيلة التسليح ليحرم روسيا من فرصة تحقيق نصر سريع. بالإضافة إلى تقييم مدى سلامة الوضع الراهن لحلف شمال الأطلسي (الناتو)، استكشفت مناورات المحاكاة التي قمنا بها بخيارات تحسين الوضع

فأولاً، يمكن لحلف شمال الأطلسي (الناتو) أن يحشد قواته لشن هجوم مضاد من أجل طرد القوات الروسية من كلا من لاتفيا واستونيا واستعادة وحدة أراضي كلا البلدين. وفي ظل أفضل الظروف، فإن ذلك قد يتطلب عملية حشد تراكمية على مدار فترات مطولة إلى حد ما يكون من شأنها التأكيد على تماسك التحالف والسماح بطرح الفرص أمام روسيا للسعي للتوصل إلى حل سياسي يسمح لها بالاحتفاظ بفتوحاتها. بل إن أي هجوم مضاد ناجح من شأنه أن يكون بالتأكيد هجوم دامي ومكلف وقد تكون له عواقب سياسية غير منظورة سلفاً لكنها يمكن أن تكون وخيمة.⁶

كما أن أي هجوم مضاد سوف يكون أيضاً محفوفاً بمخاطر تصعيدية حادة. وإذا كان بالمقدور اتخاذ تجربة شبه جزيرة القرم كسابقة، من ثمّ يمكن لروسيا أن تتحرك بشكل سريع لضم الأراضي المحتلة إلى روسيا.⁷ وبطبيعة الحال لن يعترف حلف شمال الأطلسي (الناتو) بشكل واضح بشرعية مثل هذه المناورة الاستهلاكية، لكن من منظور روسيا من شأن ذلك الضم أن يضع تلك الأراضي، على الأقل اسمياً، تحت المظلة النووية الروسية. غير أن تحويل ما يقوم به حلف شمال الأطلسي (الناتو) من هجوم مضاد لتحرير دول البلطيق إلى "غزو" للأراضي "الروسية"، من شأنه أن يؤدي بموسكو إلى اتخاذ خطوات تصعيدية لا يمكن التنبؤ بها لكن ما من شك في أنها سوف تتسم بالخطورة الشديدة.

فعلى المستوى التكتيكي، فإن أي حملة مضادة في دول البلطيق من المرجح أن تستلزم الرغبة في، بل ربّما ضرورة، ضرب أهداف معينة، من قبيل أنظمة النيران الدفاعية أرض جو وأرض أرض طويلة المدى، تقع في أراضي يتفق الجميع بمن فيهم حتى حلف شمال الأطلسي (الناتو) نفسه على أنها تشكل أجزاء من "روسيا". وفي ظل العقيدة الروسية فإنه من غير الواضح ما هي أنواع أو أحجام الهجمات التقليدية داخل الأراضي الروسية والتي من شأنها أن تؤدي إلى الردّ بالمثل (أو ربّما أسوأ)، إلا أن ذلك يثير المخاوف بالتأكيد في كلا من واشنطن وغيرها من عواصم دول حلف شمال الأطلسي (الناتو) الأخرى بشأن التداعيات التصعيدية المحتملة.⁸

وأخيراً فإنه من غير الواضح أيضاً كيف سوف يكون رد فعل روسيا على أي هجوم مضاد ناجح من طرف حلف شمال الأطلسي (الناتو) يكون من شأنه التهديد بإبادة الجزء الأكبر من قواتها المسلحة على امتداد حدودها الغربية؛ كما أنه من غير الواضح متى قد تبدأ روسيا في النظر إلى أي هزيمة تكتيكية تلحق بها على مسرح الأحداث على أنها تمثّل تهديداً إستراتيجياً لروسيا نفسها؟⁹

أمّا الخيار الثاني فيتمثل في أن يعمل حلف شمال الأطلسي (الناتو) على أن يقلب الطاولة في خطوة تصعيدية وأن يلجأ إلى عقيدة "الانتقام الشامل" التي كان ينتهجها إبّان حقبة الحرب الباردة وأن يهدد موسكو بردّ نووي في حال لم تنسحب من الأراضي التي قامت باحتلالها. ولقد كان هذا الخيار يشكل عنصراً أساسياً في إستراتيجية التحالف ضد حلف وارسو طوال مدة وجوده ويمكن بالتأكيد للجوء إليه مرة أخرى في مثل تلك الظروف.

فالأثر الرادع لمثل هذه التهديد إنمّا يستمد قوته من الخطر الضمني الكامن في اندلاع دوامة حرب تصعيدية يمكن أن تبلغ بسرعة مستوى شن ضربات نووية متبادلة على أراضي كلا من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية. إلا أنه من سوء الطالع

بإشياء قوة من شأنها أن تحرم روسيا من فرصة تحقيق نصر خاطف في الأيام الثلاثة الأولى.¹²

فتفادي سياسة فرض الأمر الواقع هو أمر فائق الأهمية لأنه يبدأ في مواجهة روسيا بخطر التعرض لهزيمة تقليدية وبالتالي يعتبر على الأقل بداية لعملية ردع أكثر مصداقية. فمن جهة، تنظر روسيا اليوم إلى شمالها الغربي فلا ترى الشيء الكثير الذي يفصل قواتها عن بحر البلطيق سوى الطريق السريع وإمكانية وضع حلف شمال الأطلسي (الناتو) في مأزق في الزاوية ثلاثية الأضلاع الموصوفة أعلاه. أمّا هدفنا فهو التوصل إلى وضع يغير المشهد على الأرض إلى مشهد حرب جدية مع حلف شمال الأطلسي (الناتو) مع مراعاة كُـل المخاطر والتهديدات التي تترتب على مثل هذه الحرب، بما في ذلك احتمال الهزيمة الكاملة على أيدي تحالف هو أكثر ثراءً وقوةً بكثير من روسيا. فالأمم يمكن أن يتم إغراؤها أو استمالتها بخوض غمار حروب يعتقدون أنها سوف تسفر عن انتصارات سريعة ورخيصة تنتهي "بحلول أعياد الميلاد"، لكن، من المنظور التاريخي، تلك الأمم هي أبعد ما تكون عن اختيار خوض غمار صراعات يتوقع لها أن تكون طويلة الأمد، ومكلفة، وغير مضمونة العواقب. لذا فقد شرعنا في رصد وضع واحد على الأقل ممكن من الناحية العملية فيه لحلف شمال الأطلسي (الناتو) أن يغير من حسابات موسكو، في هذا السيناريو، من حسابات المشهد الأول إلى حسابات ذلك المشهد الموصوف آخرًا.

وتشير النتائج التي توصلنا إليها بقوة إلى أنه يمكن تحقيق الوضع الذي من شأنه أن يحول بالفعل دون سياسة فرض الأمر الواقع ولكن دون الحاجة إلى نشر أي قوات من قبيل الفيالق الثمانية التي دافعت عن حدود حلف شمال الأطلسي (الناتو) مع دول حلف وارسو إبّان حقبة الحرب الباردة. إذ يبدو أنه من الكافي لتفادي خسارة الحرب خلال الأيام القليلة الأولى نشر قوة قدرها إجمالاً ما بين ستة أو سبعة ألوية عسكرية، من بينها ما لا يقل عن ثلاث ألوية ثقيلة التسليح، مدعومين جميعاً بالقوة الجوية والبحرية المتفوقة لحلف شمال الأطلسي (الناتو) وما لديه من قوة مدفعية، ودفاعات جوية، وقدرات إمداد وتموين لوجيستية كافية على الأرض، ومتأهبين للقتال فور اندلاع أي أعمال عدائية.

ولن تحتاج تلك القوات جميعها إلى أن تتخذ مراكز قتالية متقدمة. فحتى مع إنذاره بالحرب قبل أسبوع واحد فقط من اندلاع أي قتال، يتوجب أن يكون حلف شمال الأطلسي (الناتو) قادراً على نشر العديد من ألوية المشاة الخفيفة في دول البلطيق. نعني جنوداً من الولايات المتحدة الأمريكية. حيث يمكن نقل كلا من الفريق القتالي للواء 173 المجوقل (المحمول جواً) الموجود في إيطاليا، والفريق 82 المجوقلة الموجودة في ولاية كارولينا الشمالية عن طريق الجو في غضون عدّة أيام، كما هو الحال بالنسبة لوحدة قتالية أخرى مشابهة من دول حلف شمال الأطلسي (الناتو) الأخرى بمن فيهم كلا من المملكة المتحدة وفرنسا. كما يمكن للقواعد الجوية القتالية التابعة للجيش الأمريكي والتمركز في أماكن مختلفة من ألمانيا أن تقوم بنشر قواتها لتوفير بعض من القوة النيرانية المتنقلة المضادة للدروع، لكن إجمالاً قد يكون من الأنسب لتلك القوات سريعة الوصول أن تتمركز للدفاع عن المناطق الحضرية. ففي مناورات

المحاكاة التي قمنا بها، اختارت جميع الأطراف التي تحاكي حلف شمال الأطلسي (الناتو) تقريباً أن توظف تلك القوات بتلك الطريقة سواء داخل أو على الأطراف المحيطة بالعاصمتين "تالين" و"ريجا".¹³

أمّا ما لا يمكن أن يصل إلى هناك في الوقت المناسب فهي أنواع القوات المدرعة اللازمة للاشتباك على قدم المساواة مع نظيراتها الروسية لتعوق تقدمها وتجعلها أكثر انكشافاً لهجمات قوة النيران الجوية والأرضية الأكثر تكراراً وفعالية، وإخضاعها لهجمات مضادة مدمرة. وقدوم مثل تلك الوحدات من الولايات المتحدة الأمريكية قد يستغرق، في أفضل الأحوال، عدّة أسابيع، والجيش الأمريكي حالياً ليس لديه أي مدرعات ثقيلة متمركزة في أوروبا. وحلفاء أمريكا الأوروبيين لا يملكون سوى الحد الأدنى من القوات ثقيلة التسليح الجاهزة للقتال. فإبان حقبة الحرب الباردة نشرت ألمانيا الغربية ثلاث فيالق نشطة من الوحدات المدرعة والوحدات الميكانيكية؛ أمّا اليوم فقد تقلص أسطولها من الدبابات القتالية الرئيسية من أكثر من "2,200" إلى قرابة "250" دبابة. أمّا المملكة المتحدة فهي تخطط لسحب جميع قواتها المتمركزة بشكل دائم من ألمانيا بحلول عام 2019؛ وفي الوقت الراهن لا تملك المملكة المتحدة على أراضي القارة الأوروبية سوى مقرّ لواء عسكري بريطاني واحد فقط هو مقرّ لواء المشاة المدرعة رقم "20"، والحكومة البريطانية ملتزمة بانسحابها كإجراء لخفض النفقات.

لذا فمن المرجح أن القوة المدرعة الثقيلة الأسرع استجابة في التحرك داخل حلف شمال الأطلسي (الناتو) هي كتيبة عسكرية من مختلف أسلحة الجيش الأمريكي، يمكن نقل أفرادها جواً وإحاقهم بكتيبة المُعدّات "European Activity Set" المخزنة في بلدة "جرانفور" الألمانية.¹⁴ وإدخال تلك الوحدة إلى القتال هو عملية مُعقّدة ولن تكون فورية. فتفكيك المُعدّات - الدبابات القتالية الرئيسية طراز "M-1 24"، والعربات القتالية للمشاة من طراز "M-2 30"، ومركبات الدعم المتنوعة - وتجهيزها للتحرك، ونقلها بالسكك الحديدية عبر بولندا، ثمّ تفريغها، وتسييرها على الطرق زحفاً إلى ميدان المعركة، هي أمور من غير المرجح لها أن تستغرق أقل من أسبوع إلى عشرة أيام كاملة كي تتم.¹⁵

ويعتبر توفير المدرعات الثقيلة المناسبة في وقت مبكر بما يكفي للتأثير على مجريات الأحداث بمثابة التحدي الأكبر أمام قدرة حلف شمال الأطلسي (الناتو) على الحيلولة دون اكتساح القوات الروسية لكلا من استونيا ولاتفيا. ومما له أهمية حاسمة هنا للتأكيد على أن تلك القوة المتواضعة نسبياً ليست كافية لإرساء دفاع متقدم عن دول البلطيق أو للحفاظ على الدفاع عنها إلى أجل غير مسمى. فالغرض منها هو إبعاد شبح الهزيمة المبكرة عن حلف شمال الأطلسي (الناتو)، وتيسير الطريق للأهداف المرجوة، وليس تحقيق الأهداف الكبرى للتحالف والمتمثلة في استعادة وحدة أراضي أعضاؤه واستقلالها السياسي، إلا أنه يتوجب عليها القضاء على احتمال قيام روسيا بتوجيه ضربة قاضية إلى دول البلطيق، وتعزيز ردع أي عدوان انتهازي علني عليها.

وهناك خيارات عديدة متاحة فيما يخص الوضع الذي يمكن أن تتخذه القوات الضرورية ثقيلة التسليح، يحمل كُـل خيار منها مكوناته الخاصة من تكاليف اقتصادية

أمّا ما لا يمكن أن يصل إلى هناك في الوقت المناسب فهي أنواع القوات المدرعة اللازمة للاشتباك على قدم المساواة مع نظيراتها الروسية لتعوق تقدمها وتجعلها أكثر انكشافاً لهجمات قوة النيران الجوية والأرضية الأكثر تكراراً وفاعلية، وإخضاعها لهجمات مضادة مدمرة.

ومخاطر سياسية وعسكرية تختلف عن مكوناته الآخرين. فعلى سبيل المثال، يمكن لحلف شمال الأطلسي (الناتو) أن يضع محطات تركز دائمة في دول البلطيق لألوية مزودة بشكل كامل بالأفراد والمعدات؛ أو بمقدوره أن يضع مراكز المعدات بشكل مسبق داخل دول البلطيق، أو بولندا، أو ألمانيا، وأن يضع في خطه نقل الجنود جواً إليها خلال المراحل المبكرة من الأزمة؛ أو يمكنه الاعتماد على التواجد المتناوب للقوات؛ أو يمكنه استخدام مزيج من هذه الطرق مجتمعة. وفي المرحلة التالية من تحليلنا نستكشف أمر مجموعة من تلك الخيارات حتى تتمكن من تقييم مواطن القوة والضعف النسبية فيها.

فمن غير الواضح إذا ما كان حرمان روسيا من فرصة تحقيق انتصار خاطف من شأنه أن يردع روسيا أم لا عن المغامرة بالهجوم على "جمهوريات البلطيق الثلاث"، إن كانت تميل للتفكير في مثل تلك المغامرة. لكن ما يبدو مؤكداً هو أن الوضع الحالي لحلف شمال الأطلسي (الناتو) إنمّا لا يرجح تحقيق مثل ذلك الردع في ظل ما يمثله من فرصة أمام موسكو لتحقيق انتصار سريع ورخيص نسبياً.¹⁶ ومن المهم أيضاً هنا أن نشير إلى أن ألوية المناورة تلك، على الرغم مما لها من أهمية حاسمة، إلا أنها ليست كافية في حد ذاتها وبداتها. إذ لا بد أن تكون الكتل المدرعة وكتائب المشاة مدعومة بشكل كاف بنيران المدفعية، والدفاع الجوي، وخدمات الإمداد والتأمين اللوجيستية، والخدمات الهندسية. وعلى مدار السنوات الخمسة عشر الماضية عمل الجيش على خفض وجود المدفعية التقليدية في فرقته وعلى تجريد قوات المناورة الخاصة من كل مدفيعات الدفاع الجوي. وعلاوة على ذلك، ليس هناك أي ألوية مدفعية متواجدة في أوروبا في الوقت الراهن يمكنها أن تعزز من العدد المتواضع للمدافع على مستويي الألوية والكتائب. ويأتي ذلك في تناقض ملحوظ مع جداول التشكيلات والمعدات الروسية التي لا تزال تنطوي على قوة نيران مدفعية تقليدية كبيرة،

ومدفعية دفاع جوي، فضلا عن العديد من الوحدات المستقلة للمدفعية القاذفة الأنبوبية، والمدفعية الصاروخية ووحدات صواريخ أرض جو.

وكان لهذا التفاوت تأثيراته الكبيرة في مناورات المحاكاة التي أجريناها. ففي إحدى الحالات، كان حلف شمال الأطلسي (الناتو) يتخذ لقواته وضعا جيدا التعزير، حيث سعى فريق التحالف إلى استخدام "الفريق القتالي للواء المدرع" للاشتباك مع ما كان في جوهره قوات تغطية روسية وذلك بهدف تعطيل زحف القوات الروسية الرئيسية لاجتياح لاتفيا. وكان أحد العناصر حاسمة الأهمية في مثل هذا التكتيك يتمثل في استخدام قوة نيران المدفعية لتغطية عناصر المناورة خلال سعيهم لفض الاشتباك والتقهقر إلى موقعهم الدفاعي التالي. غير أن القوات الروسية المهاجمة في هذه الحالة إنمّا كانت تفوق "الفريق القتالي للواء المدرع" من حيث نيران المدفعية بشكل كاسح، حيث كان يدعمها العديد من كتائب المدفعية القاذفة الأنبوبية والمدفعية الصاروخية بالإضافة إلى مدفعية المجموعات التكتيكية للكتائب نفسها، حتى أنه قد تم اكتساح اللواء عند أحد جناحي الكتيبة وتدميره بينما هو بصدد السعي لفض الاشتباك، في حين تم إجبار البقية على التقهقر لتفادي ملاقاته نفس المصير.

كما تجلى افتقار قوات المناورة الأمريكية للدفاعات الجوية في إحدى مناورات المحاكاة الأخرى التي تم فيها تنظيم اثنين من الألوية ثقيلة التسليح التابعة لحلف شمال الأطلسي (الناتو)، والتي وصلت لميدان القتال، لتشكيل هجوم مضاد استهدف خاصة القوة الروسية المندفعة باتجاه العاصمة اللاتفية "ريجا".¹⁷ ولأن القوة الجوية الروسية تتمتع بالقوة الكافية لمقاومة سعي حلف شمال الأطلسي (الناتو) لتحقيق التفوق الجوي لعدة أيام، حظيت القوات الروسية بما يكفيها من الوقت والمساحة لشن موجات كبيرة من الضربات الجوية ضد هذه القوة التابعة لحلف شمال الأطلسي (الناتو). وكان غياب الدفاعات الجوية قصيرة المدى في الوحدات الأمريكية، ووجود الحد الأدنى فقط من الدفاعات في الوحدات الأخرى التابعة لحلف شمال الأطلسي (الناتو)، يعني أن الكثير من تلك الضربات لم يواجه أي مقاومة إلا من دوريات القتال الجوي التابعة للحلف فقط والتي كانت دوريات الخصم تفوقها بأعداد ضخمة. وكانت النتيجة إلحاق خسائر فادحة بالعديد من الكتل التي تمثّل فريق حلف شمال الأطلسي (الناتو) وتوقف الهجوم المضاد. وهذا يسلط الضوء على إحدى النتائج حاسمة الأهمية والتي توصل إليها تحليلنا ألا وهي أن الدفاع الناجح عن دول البلطيق إنمّا يتطلب مستوى معين من التأزر بين القوات الجوية والقوات البرية تعيد حميمته ورفقه إلى الأذهان عقيدة "الحرب الجو برية" التي كانت معتمدة بين الجيش الأمريكي والقوات الجوية الأمريكية إبان حقبة الثمانينات من القرن العشرين. فقد أبرزت مناورات المحاكاة مراراً وتكراراً ضرورة أن تأتي مناورات قوات التحالف البرية في ظل دعم وغطاء جوي صديق وأن تلعب نيران المدفعية الأرضية دوراً أساسياً في حملة قمع دفاعات الأرض جو الروسية المتقدمة.¹⁸ ففي مواجهة عدو يشكل تهديدات متعددة الأبعاد، مثل روسيا، يتوجب استخدام القوة الجوية منذ بداية الأعمال العدائية لتسهيل سير العمليات البرية، والاستفادة من قوة النيران الأرضية في تسهيل سير العمليات الجوية.

سيستدعي الدفاع الناجح عن دول البلطيق درجة من التعاون الجو - أرضي والتي سيستحضر تألفها ومستواها عقيدة الجيش الأمريكي والقوات الجوية الأمريكية "المعركة الأرض جوية" التي سادت في حقبة الثمانينيات.

ما بعد الحرب الباردة. فروسيا، التي يقودها الرجل الذي لطالما وصف سقوط الاتحاد السوفيتي على أنه أكبر كارثة جيوسياسية في القرن العشرين، قد عطلت على أقل تقدير رؤية "أوروبا الموحدة الحرة". فبقدر ما ترى موسكو في حلف شمال الأطلسي (الناتو) تهديداً لقدرتها على ممارسة نفوذها الضروري على امتداد جوارها المحيط، بقدر ما ترى وجود أعضاء حلف شمال الأطلسي (الناتو) من دول البلطيق على امتداد حدودها أمراً غير مقبول.²² فمذ أوائل التسعينيات من القرن العشرين شكلت كلا من الولايات المتحدة الأمريكية وشركائها في حلف شمال الأطلسي (الناتو) قواتهم استناداً إلى اعتقادهم بأن أوروبا قد غدت من المناطق المصدرة للأمن وقد صمد هذا الاعتقاد صحيحاً لأكثر من عقدين من الزمن. ولكن من سوء الطالع أنه يبدو أن الافتراض غير المعلن المرافق له دائماً - بأن الغرب سوف يرى أي تعكير لهذا الوضع القائم في وقت كافي يسمح له بأن يعيد أوضاعه لمواجهة أي تحدي قد يواجهه - إنمّا كان افتراضاً قد جانبه الصواب. فعوضاً عن ذلك، جاءت عدوانية وعدائية روسيا بينما حلف شمال الأطلسي (الناتو) لا يزال يعيد ضبط أوضاعه بما يجعله أقل جاهزية للتعامل مع سلوكيات موسكو.

وربمّا كانت الخطوة الأولى نحو استعادة ردع أكثر قوة تتمثل في التوقف عن تبديد الردع القائم بالفعل. فإذا كان حلف شمال الأطلسي (الناتو) يرغب في اتخاذ وضع يساعده على الوفاء بالتزامه الخاص بالأمن الجماعي تجاه كلا من استونيا، ولاتفيا، وليتوانيا، يتوجب على أعضائه أولاً أن يتوقفوا عن اتخاذ مزيد من الخطوات التي من شأنها أن تقوض قدرته على القيام بذلك. فعلى الرغم من أن بعض الإجراءات الجارية يجوز أن تكون قد تطورت كثيراً بقدر يصعب معه إيقافها، إلا أنه يتوجب على كلا من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية أن يعمداً إلى تقييم ما إذا كان من الحكمة أم لا إجراء عمليات سحب للمزيد من القوات من ألمانيا بالنظر إلى الظروف المتغيرة. وعلى جميع الدول الأعضاء بالحلف أن تعيد تقييم هياكل وأوضاع قواتها مع مراعاة تحديد ما إذا كانت هناك إجراءات معقولة على المدى القريب يمكن اتخاذها لزيادة قدرة التحالف على الردّ على أي تهديد لدول البلطيق وبالتبعية تعزيز ردع مثل هذا التهديد.

ولا تحتاج تلك التدابير لأن تقتصر فقط على العمليات العسكرية البحتة. فعلى سبيل المثال، فإن أحد التحديات التي قد يواجهها حلف شمال الأطلسي (الناتو) في حالة وقوع أزمة في منطقة البلطيق إنمّا تتمثل في

كما أن الحيلولة دون تحقيق انتصار روسي سريع في دول البلقان إنمّا يتطلب أيضاً أن يكون هيكمل القيادة في حلف شمال الأطلسي (الناتو) قادر على التخطيط لشن حملة جوية برية مُعقّدة وسريعة الحركة وعالية المرونة - وتنفيذها. وهذا ليس بالأمر الذي يمكن أن يُعهد به دون مجاذفة لأيّ فريق عمل "لكي يقوم به خلال ذات اليوم"، بل هو أمر يتطلب إعداد وتحضير دقيق. فكلّ واحدة من الفياقق الثمانية التابعة لحلف شمال الأطلسي (الناتو) والتي كانت تدافع عن الحدود الداخلية لألمانيا إيّان حقبة الحرب الباردة إنمّا كانت تمتلك - وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة في بعض الحالات باعتراف الجميع - القدرة على التخطيط والقتال من أجل القوات التي كانوا يقودوها في حالة نشوب الحرب. فقد تم وضع الخطط التكتيكية والعملياتية للمناورات والتدريب عليها؛ وتم التخطيط للدعم اللوجستي؛ وتم وضع خطط مراحل استقبال قوات التعزيز وتأهيلها ودمجها؛ وفي حال لم تكن هناك ممارسة عملية سابقة أبداً لتلك الخطط، كان يتم اختبارها بالقدر الذي يمنح الثقة في أن الإجراءات سوف تفلح بشكل معقول عندما تستدعي الحاجة ذلك.¹⁹ وبطبيعة الحال كان مستوى التخطيط الذي تحتاجه المرحلة المبكرة للدفاع يستأثر به الفيلق الأمريكي. ففي ذروة الحرب الباردة، كان هناك اثنا من الفياقق العسكرية تحت قيادة عمليات الجيش السابع يضطلعان بمسؤوليات التخطيط من أجل أوروبا؛ أمّا اليوم فليس هناك من أحد يقوم بذلك. ويتوجب على الجيش أن يدرس مسألة إقامة مقرّ فيلق في أوروبا ليضطلع بمسؤولية التخطيط للعمليات والدعم اللازمين للإعداد لهذه الحملة المُعقّدة للأسلحة المشتركة وتنفيذها، فضلاً عن مقرّ فرقة عسكرية تعمل على تنسيق عمليات القتال التكتيكية المبدئية التي يفترض أن تنخرط فيها قوات أخرى مع تدفق القوات إلى أوروبا.²⁰ كما أن عمليات المتابعة لإغاثة وتعزيز قوات الدفاع المبدئي واستعادة حدود ما قبل الحرب إنمّا قد تتطلب أيضاً مقرّ فيلق إضافي واحد على الأقل يمكن أن يوفره أحد شركاء حلف شمال الأطلسي (الناتو) أو يمكن انتقائه من بين أحد فيالق التحالف التسع القائمة بالفعل.²¹

ثمن ردع الكارثة.

لأكثر من 40 عاماً قدمت الدول الأعضاء في حلف شمال الأطلسي (الناتو) استثمارات هائلة لردع أي هجوم سوفيتي محتمل على أوروبا الغربية. واليوم يواجه الغرب روسيا التي خرقت بعنف التنظيم الأمني لأوروبا لمرحلة

مُعَدَّات الألوِيَّة وما يرتبط بها من وحدات مدفعية، ووحدات دفاع جوي، وغيرها من وحدات المساندة الأخرى تبلغ ما يقرب من 13 مليار دولار أمريكي. ومع ذلك، يتوافر بالفعل الكثير من ذلك العتاد - وخصوصاً الدبابات الباهظة التكلفة طراز "Abrams" والمركبات القتالية طراز "Bradley". فبعضها متوافر نتيجة للتخفيضات الأخيرة في هيكل قوات الجيش؛ كما أن هناك أيضاً مُعَدَّات متوافرة ضمن التخزين طويل الأمد، ويمكن نقل بعضها من وحدات الاحتياط إذا لزم الأمر. لذلك فعلى الرغم من أنه يجوز أن يكون هناك بعض التكاليف فيما يتصل بشراء أو تحديث أو جعل المُعَدَّات القائمة قابلة للاستعمال - وكذلك ما يتعلق بتحويل أحد الأنواع إلى نوع آخر - إلا أنه من المرجح أن تكون أقل بكثير من 13 مليار دولار أمريكي.

كما تبلغ التكاليف السنوية لتشغيل ودعم الفرق القتالية للألوية المدرعة الثلاثة إلى جانب الوحدات المساندة - بسعر امتلاك وتشغيل الوحدات - ما يقرب من 2.7 مليار دولار أمريكي.²³ وهذا ليس بالرقم البسيط، ولكن بالنظر إليه في سياق تحالف يملك من الناتج المحلي الإجمالي ما يربو على 35 تريليون دولار أمريكي وإنفاق دفاعي سنوي جماعي يتجاوز أكثر من 1 تريليون دولار أمريكي، بالكاد يبدو ذلك مبلغاً يصعب تحمله،²⁴ لا سيَّما بالمقارنة بالتكاليف المحتملة في حالة الإخفاق في الدفاع عن الحلفاء الأكثر ضعفاً وعُرْصَةً للخطر في الحلف - أو بمعنى أدق للتسبب في اندلاع حرب مدمرة بدلا من الحيلولة دون نشوبها.²⁵

ويمكن أن يكون من المأمول أن يكون العدوان الروسي المزدوج على أوكرانيا هو نتاج تضافر ظروف فريدة من نوعها وأنه لا يندرج بوجود نهج عام نحو تهديد الغرب. ومع ذلك، يبدو من الواضح تماماً أن الرئيس الروسي بوتين لا يثق في حلف شمال الأطلسي (الناتو) ويضمر له مشاعر السخط والاستياء. فخطاباته تشير إلى أنه يرى في تواجد الحلف على الحدود الروسية خطراً واضحاً محدقاً بأمن بلاده. كما أن التصرفات العدائية، والخطب المشوبة بالغضب - بل وحتى بجنون الارتياب، والحشد العسكري المعتدل الفعلي إنمَّا يشير كما تشير جميع المعطيات إلى وضع لا يكون من الحكمة فيه أن نلجأ إلى الأمل بدلا من اللجوء إلى الإستراتيجيات.

فاتخاذ خطوات مدروسة لتعزيز الوضع الدفاعي لحلف شمال الأطلسي (الناتو) في دول البلطيق إنمَّا لا يُلْزم لا الولايات المتحدة الأمريكية ولا أوروبا بخوض حرب باردة جديدة ولا يعني أي إشارة عداة لا رجعة فيها تجاه روسيا. بل هو في واقع الأمر ليس سوى ممارسة للعناية الواجبة التي تبعث إلى موسكو برسالة تحذير جادة وإلى جميع أعضاء حلف شمال الأطلسي (الناتو) وجميع حلفاء وشركاء الولايات المتحدة الأمريكية في جميع أنحاء العالم برسالة طمأننة.

تحريك المُعَدَّات الثقيلة والإمدادات من المخازن والموانئ في أوروبا الغربية شرقاً إلى بولندا وما وراءها. إذ يمكن لسلطات النقل في كلا من ألمانيا وبولندا أن تقوم بإجراء تقييم منهجي لمدى كفاية البنية التحتية للطرق والسكك الحديدية ومجموعات عربات السكك الحديدية من أجل دعم التحريك السريع والمنظم لمختلف الألوِيَّة العسكرية والآلاف المؤلفة من أطنان المُعَدَّات والتجهيزات العسكرية في غضون فترة قصيرة. وقد يكون من الضروري الدفع باستثمارات كبيرة لتسهيل هذه التحركات، وهي استثمارات يجوز أن يثبت كونها أكثر استساغة من الناحية السياسية من النفقات المباشرة على القوات والأسلحة - لأنها تفيد أيضاً الاقتصاد المدني. لكن هناك حاجة أيضاً للقوات والأسلحة، ولن يصدق أحد من مجموعة الدول أن دول بمثل ثراء دول حلف شمال الأطلسي (الناتو) يمكن أن تدعي الفقر كذريعة لعدم الدفع بالاستثمارات البسيطة اللازمة لنشر القوات بالشكل الملائم على أقل تقدير للحيلولة دون نجاح روسيا في توجيه ضربتها القاضية. ف شراء ثلاث فرق جديدة من الفرق القتالية للألوية المدرعة وإضافتهم إلى الجيش الأمريكي لن يكون بالأمر الباهظ التكلفة - فالتكاليف الأولية لجميع

ورُبَّمَا كانت الخطوة الأولى نحو استعادة ردع أكثر قوة تتمثل في التوقف عن تبديد الردع القائم بالفعل. فإذا كان حلف شمال الأطلسي (الناتو) يرغب في اتخاذ وضع يساعده على الوفاء بالتزامه الخاص بالأمن الجماعي تجاه كلا من استونيا، ولاتفيا، وليتوانيا، يتوجب على أعضائه أولاً أن يتوقفوا عن اتخاذ مزيد من الخطوات التي من شأنها أن تقوض قدرته على القيام بذلك.

الملحق: المنهجية والبيانات

أجري البحث الموثق في هذا التقرير في سلسلة من المناورات (محاكاة السيناريو) التي أجريت في الفترة بين صيف 2014 وأوائل ربيع 2015. ومن بين المناورين (محاكي السيناريو) محلي RAND وكل من الأعضاء النظاميين والمدنيين في مختلف المؤسسات التابعة لوزارة الدفاع، بما في ذلك الجيش الأمريكي، وسلاح الجو الأمريكي والبحرية الأمريكية ومشاة البحرية الأمريكية وهيئة الأركان المشتركة والجيش الأمريكي في أوروبا وكذلك القيادة البحرية لحلف شمال الأطلسي "الناتو" بأوروبا.

طورت RAND تدريباً لمحاكاة الجاهزية قائماً على الخريطة لأن النماذج الموجودة كانت غير مناسبة لمحاكاة الكثير من الأشياء المجهولة والشكوك المحيطة بحملة عسكرية تقليدية في دول البلقان، حيث عنت قلة نسبة القوات بالنسبة إلى حيز المكان والأراضي المكشوفة نسبياً أن المناورة بين القوات المتفرقة، بخلاف الدفع والتدافع بين الوحدات المحتشدة على طول خط الجبهة، ستكون على الأرجح النمط السائد للقتال. علاوة على ذلك، عنت حداثة السيناريو أن هناك القليل من المفاهيم الاستراتيجية أو التشغيلية التي يجب الالتزام بها لكلا الجانبين؛ كانت هناك حاجة إلى ترك الحرية للخبراء للعمل للبدء في وضع خطط وأفرع ونتائج معقولة.

كان التصميم العام للمناورة أشبه بتصميم المناورات (محاكاة السيناريو) اللوحية التقليدية حيث توجد شبكة سداسية متحركة بالحركة على خريطة

ما. كانت المخططات الإرشادية التكتيكية (مقياس 1: 500,000) تستخدم حيث كانت مغطاة بشبكات سداسية بمساحة 10 كم كما يظهر في الشكل 1.A. تم تمثيل القوات البرية في صورة كُتائب والوحدات الجوية في صورة أسراب؛ تم التحكم في الحركة والقتال وتنظيمهما باستخدام قواعد وجدول بنتائج القتال وهو ما جمع بين مبادئ المناورات (محاكاة السيناريو) التقليدية (مثل معادلات لانكستر المستخدمة لحساب الخسائر في حالات قتالية معينة) ونتائج النمذجة غير الشبكية. كما طورنا نماذج غير شبكية لجدول البيانات للتعامل مع التحرك من وداخل مسرح العمليات. خضع كل ذلك للتحسين المستمر لأننا لعبنا اللعبة مراراً وتكراراً، على الرغم من أن الشكل والمحتوى الأساسي للمنصة أثبت جودته.

صممت أوامر المعركة وجدول التنظيم والمعدات باستخدام مصادر غير سرية. استندت القوة القتالية للوحدات البرية إلى درجات إصابة الأهداف الممنهجة للأسلحة الفردية، بدءاً من الدبابات والمدفعية وصولاً إلى الرشاشات الخفيفة التي تم تجميعها بعد ذلك وفقاً لجدول التنظيم والمعدات للفئات المختلفة من وحدات حلف شمال الأطلسي والوحدات الروسية. عُدلت الدرجات الإجمالية للوحدات لمرعاة الفروق في التدريب والافتاء الذاتي وغيرها من العوامل التي لم ترصد. استمدت القوة القتالية للوحدات الجوية من نتائج الاشتباك والمهام والنمذجة على مستوى الحملات غير الشبكية. سيتضمن التقرير اللاحق توثيقاً كاملاً لمنصة المناورات.

الشكل 1.A. خرائط وشبكات تدريبات محاكاة الجاهزية ومعلومات الوحدات



¹¹ الحالة الفرعية لهذا الخيار التي تناقش في بعض الأحيان ستكون لحلف شمال الأطلسي لمساعدة الناس في دول البلطيق المحتملة على مقاومة المحتلين. من غير المؤكد بدرجة كبيرة أن تنجح هذه الخطوة فوحشية الحرب الروسية في الشيشان تدل على أن موسكو، في ظل بعض الظروف على الأقل، مستعدة للتعامل بلا هوادة مع هذه المعارضة. هذه الاستراتيجية ستؤدي بالتأكيد، بأي حال من الأحوال، إلى إمكانية وقوع خسائر كبيرة في الأرواح وأضرار غير مسبوقه في اقتصادات هذه الدول. حتى وإن نجحت المقاومة في نهاية المطاف إلى إقناع موسكو بالانسحاب، فقد يستغرق الأمر على الأرجح عدة أشهر وسنوات سيواجه خلالها سكان الأراضي المحتلة معاناة كبيرة، في الوقت الذي سيشكل ضياع البلطيق تراجعاً استراتيجياً كبيراً للولايات المتحدة وحلفائها. وأخيراً، يوفر التخطيط لذلك حيث يقوم حلف شمال الأطلسي بالرد على الإكراه والتخويف والعدوان الروسي، تطمينات بعض الشيء لحلفائنا الذين يشعرون بالتأكيد ببعض الارتياح إزاء توجه واشنطن وبروكسل الذين يرون في مقاومة حلفائهم في هذه المنطقة خط دفاعهم الأساسي.

¹² إننا لم ندرس باستفاضة كافة البدائل الممكنة ولم نتعامل مع إجمالي متطلبات السيناريو الكامل، ليس فقط بمنع الهزيمة الفورية ولكن بالاستمرار في الدفاع وإبعاد القوات الروسية في نهاية المطاف عن أي أرض لم تتمكن من احتلالها. يبدأ التحليل المستمر لمعالجة هذه المسائل.

¹³ محاولة استخدام هذه القوات الخفيفة المتحركة على الأقدام ضد الوحدات الروسية الأثقل والأسرع حركة، تركها معرضة للاشتباك وإما محاصرة أو مجتاحة ومدمرة. في كلتا الحالتين، لم تفعل هذه القوات الكثير لإبطاء تقدم العدو. لقد أثبتت عجزها حتى عن التقهقر لأنها لم تستطع بمعنى الكلمة الابتعاد عن مطارديها.

¹⁴ لقد أعلن الجيش عن خطط لإضافة مجموعتين إضافيتين بحجم كتيبة في أوروبا، وبذلك يكون الحجم الإجمالي للدروع المتمركزة مسبقاً مساوياً لحجم لواء. في الوقت الذي تعتبر فيه التفاصيل والجدول الزمني لعمليات الانتشار الإضافية المذكورة غير معروفة بعد وقت كتابة هذا التقرير، تشير تقارير إعلامية إلى أن القوات تم توزيعها على نطاق واسع على طول الحدود الشرقية لحلف شمال الأطلسي، "في بولندا ورومانيا وبلغاريا وربما المجر" وذلك في الوقت الذي لم تنتشر في جمهوريات البلطيق الثلاثة سوى كتيبة واحدة فقط (إريك شميت وستيفن لي مايرز، "الولايات المتحدة مستعدة أن تنشر أسلحة ثقيلة في أوروبا الشرقية" نيويورك تايمز، 13 حزيران 2015). وفي الوقت الذي ربما يبدو فيه هذا الانتشار لمجموعات المعدات التي يعادل حجمها حجم شركات رائدة على المستوى السياسي والرمزي، إلا أنه على الأرجح لن يفعل الكثير لمواجهة التحدي العسكري الموصوف في هذا التقرير. بالنسبة للتقرير الخاص بخطط البنتاجون، انظر شميت ومايرز، 2015.

¹⁵ لا تنتقل المركبات المجنزرة الثقيلة لمسافات طويلة بنفسها؛ ويؤدي القيام بذلك إلى إلحاق أضرار جسيمة بالطرق التي تمر عليها وتصل المركبات نفسها إلى وجهتها وهي بحالة سيئة. وبدلاً من ذلك، يتم تحميلها على شاحنات مخصصة لنقل المعدات الثقيلة أو على قطارات خاصة ونقلها إلى مكان قريب إلى حد ما من ميدان المعركة لتتحرك فيه بنفسها.

¹ عدد السكان المقيمون في ليتوانيا من أصل روسي أقل بكثير نسبياً وتم إدماجهم على أفضل نحو مع التيار السائد من سكان البلاد.*

² باراك أوباما، "خطاب الرئيس أوباما إلى الشعب الإستوني"، تالين، إستونيا، 3 سبتمبر (أيلول) 2014. اطلع عليه بتاريخ 24 نوفمبر (تشرين الثاني) 2015 على الموقع الإلكتروني: <https://www.whitehouse.gov/the-press-office/2014/09/03/remarks-president-obama-people-estonia>

³ القوات البرية الروسية منظمة بشكل نموذجي في ألوية، ولكن الممارسة الروسية المعاصرة ستولد مجموعة تكتيكية منظمة في كتائب من كل لواء. ومن ثم، سنقوم، في هذا التقرير، بتنظيم قوات الجيش الروسي في صورة كتائب.

⁴ لأغراض هذا التحليل، افترضنا أن روسيا سبقي على نفس حجم قواتها التي نشرتها في صيف 2014 على الحدود الأوكرانية.

⁵ يقطن عدد هائل من السكان ذوي الأصول الروسية في كل من مدينتي تالين وريغا، أكثر من 30 بالمائة في الأولى، و40 بالمائة في الأخيرة. حتى وإن كانت أقلية صغيرة من هؤلاء السكان متعاطفين مع قضية الغزاة الروس، فقد يشكل ذلك تحدياً أمنياً داخلياً كبيراً أمام قوات المقاومة.

⁶ آخر مرة خسرت فيها روسيا حرباً أوروبية، سقط على أثرها النظام القيصري على يد الثورة.

⁷ لن يكون ذلك مناورة خالية من المخاطر لروسيا لأنها قد تحجب الخيارات التي قد تبدو جذابة فيما بعد. سيجعل ضم الأراضي المحتلة إلى روسيا من الصعب، بل من المستحيل، على القيادة في موسكو التراجع عن القتال للاحتفاظ بها، حتى وإن كانت تكلفة القيام بذلك باهظة للغاية. نشكر ستيفن بيفر مدير شركة بروكليينجز على هذه الرؤية.

⁸ إننا لم ندخل الاستخدام النووي في أي من مناوراتنا، على الرغم من أننا اكتشفنا أن تأثيرات الأنواع المختلفة من القيود على عمليات كل جانب تهدف إلى تمثيل الحدود التي قد تكون مفروضة من أي قيادات سياسية وطنية أو متحالفة حريصة على تجنب تسوية الصراعات المتصاعدة.

⁹ يمكن لحلف شمال الأطلسي اتخاذ الخطوات للسعي إلى الحد من الضغوط التصعيدية بطمأنة روسيا أن أي هجمات على الأراضي الروسية ستكون محدودةً جغرافياً ومقيدةً بمجموعة صغيرة من الأهداف المحددة وبضمان عدم دخول أي قوات مناورات برية للأراضي الروسية. وبالطبع سيكون الأمر متروكاً لموسكو لتحديد مدى مصداقية منح هذه الضمانات.

¹⁰ ضعفت مصداقية هذا الخيار لأنه ينطوي على، كما يذكرنا ماتيو كرونيج، تهديداً مرغماً، ومن المفهوم أن الإرغام الذي يعني إجبار العدو على التنازل عن شيء اكتسبه بالفعل، أصعب بوجه عام من الردع. سيبدو الانسحاب من دول البلطيق في مواجهة التهديدات النووية لحلف شمال الأطلسي بلا شك تراجعاً مهيناً لموسكو، وستخشى القيادة الروسية، وربما كان ذلك منطقياً، مما سترتب على هذا الضعف من صدمة للرأي العام الداخلي.

كما يمكن لحلف شمال الأطلسي أن يسعى إلى تعزيز قدرات جيوش دول البلطيق، ربما بتزويدها بمخزونات وافرة من الأسلحة المضادة للدروع مثل صاروخ جافلن المحمول أو الصواريخ الموجه سلكياً بنظام تصويب كهرو بصري. يجعل التفاوت الهائل في الحجم بين التهديد الروسي المحتمل وأكبر قوة للجمهوريات البلطيقية الصغيرة التي يكاد يزيد تعدادها السكاني مجتمعة عن التعداد السكاني لماريلاند والتي يقع التصنيف الاقتصادي لها مجتمعة بين تصنيف نيو مكسيكو ونبراسكا، يمكن أن تشغل ميدان المعركة بالكاد، من الصعب أن نتخيل كيف لها أن تدافع عن نفسها دون حصولها على دعم كبير من حلف شمال الأطلسي بصرف النظر عن مدى تسليح جيوشها.

²² من الجدير بالذكر أنه، أثناء تدريبات قوات حلف شمال الأطلسي في جورجيا وأوكرانيا ودول البلطيق، كانوا يعملون بالقرب من القلب الروسي مثلما اخترقته قوات ألمانيا النازية في الفترة بين 1941 إلى 1942. من الصعب التصديق بأن القادة الروس لم يلاحظوا رمزية ذلك.

²³ نتوجه بالشكر لزميلنا جوشوا كليماس بمؤسسة RAND على تزويده لنا بنموذج التكلفة المفصل.

²⁴ تمثل بدقة 0.27 بالمائة فقط من إجمالي الإنفاق الدفاعي السنوي لحلف شمال الأطلسي.

²⁵ كما ذكرنا أعلاه، هناك وسائل أخرى ربما تكون أقل تكلفة لوضع الدروع الثقيلة بالقرب من دول البلطيق بالمقارنة بتمركز القوات هناك. مرةً أخرى، نسعى إلى استحداث وسائل محدودة من حيث التكلفة.

¹⁶ حتى في غياب المقاومة التقليدية القوية، يمثل هجوم حلف شمال الأطلسي على الرغم من ذلك خطورة كبيرة على روسيا. الردع ظاهرة معقدة لا تركز على أي عنصر بمفرده. ومع ذلك، لا يمكن لعدم وجود دفاع تقليدي ذي مصداقية أن يعززه. ¹⁷ مرةً أخرى، كان ذلك سيناريو كان من المفترض أن يتحسن فيه وضع حلف شمال الأطلسي عن وضعه الحالي.

¹⁸ من الجيد أن نتذكر أن أولى الطلقات في حرب الخليج سنة 1991 خرجت من مروحيات الجيش الأمريكي التي هاجمت مواقع الدفاع الجوي العراقية. لذا، فإن ذلك بأي حال من الأحوال فكرة جديدة.

¹⁹ ربما من أبرز الأمثلة على هذه التدريبات "العودة الدورية للقوات إلى ألمانيا" التابعة للجيش الأمريكي أو تدريبات العودة، والتي ترى فيها عشرات الآلاف من الجنود الأمريكيين وهم ينتشرون من الولايات المتحدة إلى أوروبا في بروفات كاملة لتعزيز الجبهة الوسطى لحلف شمال الأطلسي وقت الحرب.

²⁰ قد يكون لذلك مهمتين هما أن يكون مقرراً لحلف شمال الأطلسي والأخر العمل كقوات تابعة للجيش الأمريكي، وسيكون قادراً على وضع خطط تفصيلية مقدماً أو في غياب الموافقة بالإجماع لمجلس شمال الأطلسي والتي تعتبر شرطاً أساسياً للتخطيط المدروس من جانب مقرات حلف شمال الأطلسي.

²¹ لقد نوقشت خيارات أخرى لتعزيز موقع حلف شمال الأطلسي الرادع دون زيادة كبيرة في عمليات النشر التقليدية للقوات. على سبيل المثال، يمكن لحلف شمال الأطلسي أن يعتمد على زيادة التوافر والاعتماد على الأسلحة النووية التكتيكية. ومع ذلك، في الوقت الذي ينبغي فيه أن تذكرنا ذكريات المناقشات التي لا تنتهي عن الحرب الباردة والخاصة بجدوى التهديدات النووية لردع العدوان التقليدي عن طريق سلطة تمتلك عدد كبير من الأسلحة النووية، فإن هذا النهج لديه مشكلات مع المصداقية مشابهة لتلك التي نوقشت بالفعل فيما يتعلق بخيار الرد القاسي على أي هجوم روسي.

شكر وتقدير

يود المؤلفون توجيه الشكر لتييم ماتشمور (Tim Muchmore)، القيادة المركزية للجيش الأمريكي/جي8- على دعمه لهذا العمل. كما نود أن نعرب عن امتناننا لماثيو كروينج (Matthew Kroenig) بجامعة جورج تاون وستيفن بيقر (Steven Pifer) بمؤسسة بروكينجز لتنقيحهم الدقيق للنسخة السابقة من هذا التقرير. أما في مؤسسة RAND، فنحن نوجه الشكر أولاً وقبل كل شيء لتييم بوندس مدير مركز أرويو، وتيري كيلى، مدير برنامج الاستراتيجيات والعقائد والموارد. وأيضاً، وعلى الرغم من أن أسماءهم لا تظهر على صفحة العنوان، إلا أنه لم يكن من الممكن الانتهاء من هذا العمل دون إسهامات جيمس بونومو وسكوت بوسطن وجيمس تشاو وآبي دول وديفيد فريلنجر وكارل مولر وجيني أوبرهولترز وديفيد أوتشمانيك وباري ويلسون، فضلاً عن زملاء آخرين شاركوا في مختلف المناورات (محاكاة السيناريو) وورش العمل. نشكركم جميعاً على إسهاماتكم.

قدمت لنا لورا نوفاك وماريا فالفو دعماً إدارياً لا يقدر بثمن في جميع مراحل المشروع؛ كما حرر فيليبس جيلمور النص. نشكرهم جميعاً على صبرهم وجهدهم. وفي حين أن لهم نصيب من الفضل لأي رؤى وتصورات ذكرت في الصفحات السابقة، إلا أنهم غير مسؤولين عن أي أخطاء تتعلق بالوقائع أو الأحكام؛ والتي تقع مع الأسف على عاتق المؤلفين وحدهم.

نبذة عن هذا التقرير

انطلاقاً من صيف عام 2014، أجرى مركز أرويو التابع لمؤسسة RAND سلسلة من المناورات (محاكاة السيناريو) لدراسة العدوان الروسي التقليدي المحتمل على دول البلطيق الثلاثة العضوة في حلف شمال الأطلسي: إستونيا ولاتفيا وليتوانيا وعلى الرغم من أن هذا الهجوم لن يحدث على الأرجح، إلا أن مسلح موسكو الأخير يوحي بأن حلف شمال الأطلسي يجب أن يأخذ هذا الاحتمال على محمل الجد بالقدر الكافي لتقييم متطلبات الردع على أقل تقدير، أو لإلحاق الهزيمة بالتهور الروسي إذا لزم الأمر.

يوثق هذا التقرير نتائج هذه المناورات (محاكاة السيناريو) معتبراً أن الموقف الحالي لحلف شمال الأطلسي غير ملائم أبداً للدفاع عن جمهوريات البلطيق. في الواقع أن روسيا لديها القدرة على الاجتياح السريع لواحدة أو أكثر من دول البلطيق، الأمر الذي من شأنه أن يخلق وضعاً لا يعرض حلف شمال الأطلسي والولايات المتحدة لشيء سوى الخيارات السيئة. لكن تحليلنا يشير أيضاً إلى أن الاستثمارات المتواضعة نسبياً في تحسين الردع يمكن أن تسمح لحلف شمال الأطلسي بدرجة كبيرة بتقليل ثقة موسكو في قدرتها على تحقيق نصر سريع ورخيص وتعزيز الردع والإسهام في إعادة استقرار العلاقة بين روسيا وجيرانها الغربيين. أجري هذا البحث تحت رعاية مكتب وكيل وزارة الدفاع. كما يود المؤلفون توجيه الشكر للزملاء العاملين في مشروع القوات الجوية في مؤسسة RAND على ما قدموه من مساهمات، والذين قد شاركوا في البحث الموازي في هذا الموضوع والذين تعاونوا معهم بشكل وثيق وتأزري.

رمز التعريف المميز للمشروع الذي أثمر عن هذه الوثيقة هو (HQD146848). يجب توجيه الاستفسارات عن هذه الوثيقة أو المشروع إلى مايكل مازار (Michael Mazarr)، القائم بأعمال مدير البرنامج؛ مركز أرويو، برنامج الاستراتيجيات والعقائد والموارد، على mmazarr@rand.org 412-683-2300 تحويلة 5610.

نبذة عن المؤلفين

المؤلفون الذين يمكن الاتصال بهم:

ديفيد شلاباك (David Shlapak) محلل أول للأبحاث الدولية ومدير مشارك لمركز RAND للمناورات. يمكن الاتصال به على David_Shlapak@rand.org.

مايكل جونسون (Michael Johnson) محلل أول للأبحاث الدولية ويمكن الاتصال به على Michael_Johnson@rand.org.

حقوق الطبع والنشر الإلكتروني محدود

هذه الوثيقة والعلامة (العلامات) التجارية الواردة فيها محمية بموجب القانون. يتوفر هذا التمثيل للملكية الفكرية لمؤسسة RAND للاستخدام غير التجاري فقط. يحظر النشر غير المصرح به لهذا المنشور عبر الإنترنت. يُصرح بنسخ هذه الوثيقة للاستخدام الشخصي شريطة أن تظل مكملة دون إجراء أي تعديل عليها. يلزم الحصول على تصريح من مؤسسة RAND، لإعادة إنتاج أو إعادة استخدام أي من الوثائق البحثية الخاصة بنا، بأي شكل كان، للأغراض التجارية. لمزيد من المعلومات حول إعادة الطباعة والتصاريح ذات الصلة، الرجاء زيارة www.rand.org/pubs/permissions.html.

للحصول على مزيد من المعلومات حول هذا المنشور، الرجاء زيارة www.rand.org/t/rr1253.

© حقوق النشر لعام 2016 محفوظة لمؤسسة RAND

بيانات نشر مكتبة الكونجرس متاحة لهذا المنشور.
رقم التعريف الدولي للكتاب: 978-0-8330-9298-4

مؤسسة RAND هي منظمة بحثية تعكف على تطوير حلول للتحديات التي تواجه السياسات العامة وذلك للمساعدة في جعل المجتمعات في جميع أنحاء العالم أكثر أماناً وسلاماً وصحةً وازدهاراً. مؤسسة RAND هي مؤسسة غير ربحية وحيادية وملتزمة بالصالح العام.

لا تعكس منشورات مؤسسة RAND بالضرورة آراء عملاء ورعاة الأبحاث الذين يتعاملون معها. العلامة التجارية RAND® هي علامة تجارية مسجلة.

www.rand.org